الثقافة الإسلامية
وسماتها البارزة

(دراسة تحليلية)

إعداد الحافظ د. عبد الرحيم •
والدكتور عبد القدوس صهيب •

تمهيد

من المعلوم أن أمة بدون ثقافة من المعلوم أن أمة بدون ثقافة هي أمة بدون هوية ينطبق ذلك على الأفراد كما ينطبق على المجتمعات وأن الوسيلة المثلى للحفاظ على ثقافة الأمة هي التربية وأن العلاقة بين الثقافة والتربية علاقة تأثير وتأثر، وحددت نقاط معينة تبين فوائد علم الثقافة. وأهداف الثقافة الإسلامية التي تصب جميعها في اتجاه الرفع من

• •-أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة بهاء الدين زكريا (ملتان- باكستان).
•-أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة بهاء الدين زكريا (ملتان - باكستان).

مستوى المسلم الفكري فيما يتعلق بفهمه لدينه ومن ثم تطبيقه تطبيقاً صحيحاً. ومن أبرز سمات الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة ربانية، وإنسانية جاء الخطاب فيها لكل البشر دون استثناء، وأن فيها الوحدة، وفيها الشمول، والتوازن، والإيجابية وتتميز أيضاً بالثبات في مبادئها والتطور في أساليبها ووسائلها، وأما مصادر الثقافة الإسلامية فهي القرآن والسنة والتراث الإسلامي.

فإذا كانت دراسة أي علم من العلوم تؤدي إلى ترقية مشاعر الفرد، وتنمي مداركه، وتفتح أحاسيسه وتصقل مواهبه، وتزيد في حركته ونشاطه الفكري، فيؤدي كل ذلك إلى إحداث تفاعل ذاتي داخل النفس التي تتلقى هذا العلم وتقوم بتلك الدراسة مما يجعلها تنطلق إلى آفاق جديدة، وتحصل على معارف وحقائق علمية لم تكن قد عرفتها من قبل. نقول: إذا كان هذا كله يمكن أن يطبق على أي علم يتلقاه الإنسان، فكيف به إذا كان هذا العلم المتلقى، وهذه الدراسة التي يقوم بها تتعلق بعلم وثيق الصلة بكيان الفرد وشخصيته الإسلامية، وماضيه المجيد، وتراثه التليد؟ كعلم الثقافة الإسلامية. هذه الثقافة التي هي في حقيقتها الصورة الحية للأمة المسلمة، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها وبها قيام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة. تلك الثقافة التي تستمد منها أسس عقيدتها وعناوين مبادئها التي تحرص على التحلي بها والمفاخرة بها بين الأمم، إن الثقافة الإسلامية هي التي تحدد نظام الحياة داخل المجتمع المسلم وتحث على التزامه وفيها تراث الأمة الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تحب له الذيوع والانتشار.

ومن هذا كله برزت أهمية دراسة علم الثقافة الإسلامية، هذا العلم الذي هو أثير النفس المسلمة إذ به تتم الصلة بين كل جوانح الإنسان المسلم عقله وقلبه وفكره، وبه يربط المسلم بين ماضيه الزاهر وحاضره القلق، ومستقبله المنشود. إنه [1] في أقرب أهدافه الكثيرة يزود العقول بالحقائق الناصعة عن هذا الدين، وسط ضباب كثيف من أباطيل وشبه الخصوم، ويربى في المسلم ملكة النقد الصحيح التي تقوم المبادئ والنظم تقويماً صحيحاً وتجعل المسلم يميز في نزعات الفكر والسلوك بين الغث والسمين فيأخذ النافع الخير ويطرح الفاسد الضار ملتزماً في ذلك بالتوجيه النبوي الكريم "الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها"[2]، وعلى هذا فإننا نقول: إذا كانت سائر العلوم الأخرى يعتبر تحصيلها ضرباً من الاستزادة من المعارف، فتلك غاية تنحصر في حدود المعرفة العقلية البحتة، لكن علم الثقافة الإسلامية يتجاوز ذلك لينفذ إلى القلب فيحرك المشاعر كما تقدم ويفجر في روح المؤمن تلك الطاقة من المشاعر الفياضة التي تشده شداً قوياً إلى عقيدته، وتراث أمته، وتعمق فيه روح الولاء لأمته الرائدة التي أكرمها الله بهذه الرسالة الهادية.

أهمية دراسة الثقافة الإسلامية:

وتتجلى أهمية دراسة الثقافة الإسلامية في النقاط التالية[3] :

---

[1] - أي علم الثقافة.

[2] - رواه الترمذي في باب العلم.

[3] - أضواء على الثقافة الإسلامية د. نادية العمري، ص ٤٤.

١- توضيح الأساسيات التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية.

٢- تأثير الثقافة الإسلامية في العرب.

٣- تفاعل المسلم مع مبادئه وقيمه.

٤- بيان الازدهار الحضاري للأمة الإسلامية.

٥- بيان الأدواء التي حلت بالأمة الإسلامية.

٦- بيان دور الثقافة الإسلامية في العصر الحديث وما تقدمه للإنسان المعاصر.

وعلى ما تقدم فإننا نؤكد القول بأنه إن لم تقم دراسة الثقافة الإسلامية بشكل جاد ودقيق فسيكون ذلك سبباً في اهتزاز صورة الأمة في نظر الآخرين، بل سيمتد الأمر إلى أن تتخلى الأمة عمّا يميزها، ويزيل سماتها التي تتميز بها بين الأمم والثقافات الأخرى، فيجعلها تابعة بعد أن كانت قائدة، بل سيصل الأمر بالأمة إن لم تهتم بثقافتها وتتعلمها وتعلمها بالشكل الصحيح والدقيق إلى الاضمحلال ثم الزوال لا سمح الله، وهذه هي الكارثة التي تخشى كل أمة حية أن تحل بها.

ولذلك نقول إن الثقافة الإسلامية قد خلّفت تراثاً ضخماً في مختلف فروع المعرفة على المسلم أن يكون ملماً بهذه المعارف التي كونتها وخلفتها الحياة الإسلامية على مدى قرون عديدة، والتي دبجت ضمن سلسلة من الكتب التي تتناول هذه المعارف في مجالات الدراسات الإنسانية أو العلمية عرضاً لهذه الثقافة أو إشادة بتأثيرها الحضاري.

مفهوم الثقافة

يقول المناطقه إننا لا نستطيع أن نُميِّز بسهولة بين ما هو من الثقافة وما ليس منها دون أن نستخدم مقياساً معيناً يكون سابقاً على البحث نصطنعه أو نصنعه[1].

وإن كلمة ثقافة هي من الكلمات التي دار حول معناها الجدل كثيراً إذ أن هذه الكلمة لم تُعرف بهذا المسمى إلا في العصور المتأخرة سواء في التراث الإسلامي أو التراث الغربي الذي أخذت الكلمة عنه مع اختلاف المدلول بيننا وبينهم، وقبل أن نثبت ما دلت عليه الكلمة في معاجمنا العربية وما تدل عليه في اصطلاح تراثنا الإسلامي، نقف وقفة سريعة على معنى كلمة (ثقافة) في اللاتينية إذ تعني Culture فالمعنى يختلف عن المفهوم العربي للكلمة إذ هي تشتق من الكلمة Cultur ، أو Cultus ومن الأصل Cultivare ، وتحمل الكلمة أساساً معنى زراعة Cultivation ، وإن اتسع المعنى والمفهوم بعد ليشير إلى معان أخرى كالتدريبTraining Mental ، والرضاعة Fostering ، والزخرفة (Adorment، والعبادة Worship، والعقيدة Cult ، وإن كانت كل هذه الاصطلاحات والمعاني سواء ما استخدم فيها بمعنى وصفي أو وظيفي إنما تُعبِّر عن تهذيب شئ ما وتحسينه أو تنميته ويرى أحد الكتاب الغربيين وهو (كهلر) Kohler، أن مفهوم الكلمة الذي يشير إلى زراعة إنما يرجع إلى العصر الوسيط حين كانت توصف عبادة الله بأنها بمثابة

---

[1]- الدكتور شكري فيصل، مجلة الإسلام العدد الثاني والعشرون ص ٢٦.

زراعة في أرض الله، أو لله تؤدي إنتاجها في الآخرة [١] .

ولكن مالك بن نبي المفكر الإسلامي والكاتب المعروف يرى أن مفهوم ثقافـــة Culture ، إنما هو ثمرة من ثمار عصر النهضة ظهر عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي فجر عصر جديد من الإنتاج في القيم وفي الفكر والأدب والفن وأن علينا أن نترجم ظاهرة الثقافة تلك في ضوء العقلية الأوروبية بعامة والفرنسية بخاصة، لأن الأوروبي والفرنسي بالذات في رأيه أن (المثقف) هو إنسان الأرض وأن حضارة أوروبا في جوهرها هي حضارة الزراعة، وأن عمليات الزراعة من إستنبات، وحرث، وري، وبذر، وحصد ذات دور هام في صياغة نفسية الأوروبي ورموز حضارته. مما جعله يطلقها– أي الزراعة– إطلاقاً مجازياً على الفكر حين يتعاظم إنتاجه في فترة ما، ولهذا فإن هذه الاستعارة أطلقت على واقع إجتماعي فخلقت مفهوماً جديداً هو مفهوم الثقافة [٢] .

وإذا كان علماء القرن التاسع عشر يميلون إلى ربط مفهومهم للثقافة بالمسلمات الفلسفية التي راجت في ذلك العصر حيث كانوا غالباً ما يتحدثون عن الثقافة كشيء منفصل عن الأشكال الخارجية التي تنظم هذا المفهوم. فإن علم الاجتماع الحديث يرى أن الثقافة ينبغي النظر إليها

١- Kokler, Erich: Cultre and Evolation in (ed.) M.E. Ashley Montage Man s Adaptive Dimension OUP.١٩٦٨.P٣

٢- مالك بن نبي مشكلة الثقافة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ص ٣٠ وما بعدها.

كجزء لا ينفصل عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الناس في ذلك المجتمع في صوره المختلفة.

تعريف الثقافة لغة :

نحاول أن نستشف معنى هذه الكلمة من المعاجم العربية للغة فنجد أنها من باب (ثقف) وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَاقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوْهُمْ ﴾[1]،أي وجدتموهم أو أدركتموهم، وهنا ثقف من باب تعب وثقف تمكن من فهم الشيء أو العثور عليه، وبما أن العثور على الشيء تمكن منه فأصلهما واحد، وفي حديث الهجرة "هو غلام لقن ثقف" أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، وقد جاء في أساس البلاغة للزمخشري، "ثقفناه في مكان كذا أي أدركناه"، وثقفت العلم والصناعة في أقصر مدة إذا أسرعت أخذه، وثاقفه مثاقفة أي لاعبه بالسلا [2]، وفي لسان العرب لا يختلف التعريف عن هذا المعنى "يقال ثقف الشيء" وهو سرعة التعلم، وثقفت الشيء حذقته.

ويقول صاحب كتاب الرائد ثقف يثقف ثقفاً وثقافة أي صار حاذقاً ماهراً، وثقف يثقف وثقافة وثقوفة الشيء تعلمه سريعاً، ووردت أيضاً ثقف يثقفُ ثُقفاً، أدركه أو وصل إليه الشيء وظفر به ومنها قوله تعالى:

---

[1]- سورة البقرة آية ١٩١.

[2]-أساس البلاغة للزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ، ص ٧٣، ٧٤.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾[1] ومنها ثقف الرمح أي قومه وسواه أو هذبه وعلمه [2] وإلى نفس المعنى تشير دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي (المجلد الثاني) ثقف يثقف ثقافة فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، ويؤكد صاحب المنجد في اللغة المعاني السابقة ويقول: "الثقاف من النساء الفطنة، وثقف الرمح أو الولد، وقومه وسواه فتثقف أي هذبه وعلمه فتهذب وتعلم فهو مثقف وهي مثقفة" [3].

وبهذا المفهوم اللغوي لكلمة ثقافة. لا يبعد المعنى المتداول على الألسنة في المجتمع العربي حين يشير الناس عادة إلى معنى (الثقافة) على أنه الفهم والحذق أو الخبرة بالشيء وفهمه وإدراك معانيه .

التعريف المختار اللغوي هو: "الثقافة في اللغة هي الفهم وسرعة التعلم وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة وحذق وفطنة".

تعريف الثقافة اصطلاحا:

نجد أن أحد الكُتاب الغربيين يحدد ذلك المفهوم وهو (هنري لاوست) بقوله "إن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ منها

---

[1]- سورة النساء آية ٩١.

[2]- الرائد جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤م.

[3]- المنجد في اللغة، لويس معارف، الطبعة السابعة العاشرة، بيروت، ص ٧١.

عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها" [1] .

ويُعرف (آرنست باركر) الثقافة بأنها:

"ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة والأفكار والمشاعر واللغة" [2].

وفي اصطلاح مجموعة من الباحثين: أن الثقافة هي "مجموعة المعارف والجوانب الروحية الأصيلة من حياة الأمة ممثلة في تعاليمها الدينية وتقاليدها وأدبها وفنها وفلسفتها وأنظمة تفكيرها في الحياة والسلوك" [3].

نود هنا أن نستعرض بعض التعاريف التي عُرِّفت بها الثقافة الإسلامية اصطلاحاً، حيث يقول أحد الكتاب المسلمين:

"إن ما نعنيه بالثقافة الإسلامية هي تلك المعارف والسبل التي تصوغ الفرد والمجتمع (لاسيما الشباب) صياغة إسلامية تسمح لهم بصياغة الواقع الذي يعيشونه وفق الرؤية الإسلامية للحياة على أنها ليست مجرد مجموعة المعلومات النظرية بل هي في إطار أنها إسلامية – تعني – تحويل الواقع العقلي والوجداني بطريقة تتمكن من أن يكون العقل والوجدان قادرين على تكييف الواقع الخارجي تكييفاً إسلامياً" [4] .

---

[1]- الحضارة، د. حسين مؤنس ص ٣٦٨.

[2]- المصدر السابق. ص ٣٦٩.

[3]- مجلة الأزهر، الجزء العاشر القاهرة، شوال ١٣٧١هـ، المجلد ٢٣، ص ٤٧.

[4]- فقه التاريخ في ضوء أزمة المسلمين الحضارية للدكتور عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص ١٣٠.

ويرى البعض أنه لا ينبغي أن نجاري الغرب في تعريفاتهم للثقافة وأن علينا أن نُعرفها تعريفاً إسلامياً مستقلاً لا نكون فيه تابعين ولا مقلدين ولا آخذين من تعريفاتهم إذ يقول في تعريفها (في رأينا أن مفهوم الثقافة يجب أن ينال تحديداً بصبغة إسلامية بحتة – وهذا المفهوم الذي يعطي الثقافة الإسلامية تلك الصبغة الخاصة بها والمميزة لها وهو أن نعرفها بأنها (الحكمة) وذلك كما ورد في القرآن الكريم عن مفهوم الحكمة، فإن الحكمة كما فسرها به علماء الإسلام والسلف تشمل معاني كثيرة منها العلم والعمل وإتباع السنة، فالسنة تفسير وتطبيق للقرآن، والمعرفة بالقرآن، والتفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام وما يترتب على ذلك كله من خشية الله فإنه من المعلوم أن هذه المعاني جميعاً تلتقي في النهاية على معنى واحد وهو العلم بالإسلام والعمل به، يقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْراً كَثِيْراً﴾ [1].

يعني بالحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله[2].

ويقول الإمام مالك رحمه الله:

"وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي الفقه في الدين"[3].

---

[1]- سورة البقرة آية ٢٦٩.

[2]- مجلة الأزهر محاولات لاستكشاف الثقافة الإسلامية، بقلم د. أحمد عبد الحميد غراب الجزء العاشر، جمادي الآخرة ١٤٠٩هـ، ص ٦٧٥.

[3]- المرجع السابق ص ٦٧٥.

التعريف المختار للثقافة الإسلامية:

يقول أحد المتخصصين في علم الثقافة الإسلامية: "أرى أن الثقافة مصطلحاً يعني العلم الذي يبحث كليات الدين في مختلف شئون الحياة فإذا وصفت بدين معين إختصت بكليات ذلك الدين وعليه (والكلام له) فالثقافة الإسلامية هي "علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها" [1].

فقولنا: (علم) يخرج به المفهوم العام للثقافة الذي يعني النشاط الأدبي والفني.

وقولنا: (كليات الإسلام) يعني أصوله ومقوماته في جميع نظمه فيخرج به فروع الإسلام في نظمه المتعددة لأن هذا من شأن العلوم المتخصصة كالعقيدة في النظام العقدي والعبادات، والمعاملات في الفقه، وهكذا بقية النظم الأخرى.

وقولنا: (في نظم الحياة) شمول واستقصاء لسائر نظم الحياة البشرية وهذه النظم هي العقيدة، العبادة، الدعوة والحسبة، الأخلاق، الاجتماع، السياسة، الاقتصاد، العلم والمعرفة.

وقولنا: (كلها) تخرج به العلوم الشرعية المتخصصة بنظام واحد أو بعض تلك النظم، حيث تدرس أصول هذا النظام وفروعه كعلم الفقه مثلاً، أما علم الثقافة فيبحث في نظم الإسلام كلها جميعاً دون تعمق في فروعه.

وقولنا:(بترابطها) تخرج به البحوث الإسلامية الموسوعية التي

---

[1]- مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية د. عبد الرحمن زيد الزنيدي، ص ٨٩.

تجمع العلوم الإسلامية في مؤلف واحد لكن في استقلالها التخصصي وانفصالها، أما علم الثقافة فيبحث ارتباط هذه النظم ببعضها وأثر كل منها على غيره.

أهمية الثقافة:

الثقافة هي عنوان الأمة بين الأمم الأخرى، فإذا ما أردت أن تُقيِّم أمة من الأمم فعن طريق ثقافتها، فالعلاقة وثيقة بين الأمة وثقافتها لدرجة أن بعض المفكرين والكتاب لا يجد وسيلة لتعريف الأمة أو الجماعة إلا من خلال ثقافتها فكلما كانت خصائص الثقافة قوية ومتميزة كلما انعكس ذلك على شخصية وسمعة الأمة وتقدمها، وثقافتنا الإسلامية بما سنعرفه في فصل قادم عن خصائصها متميزة، كيف لا وهي ذات المصدر الرباني، ثقافة منهجها الدين الخاتم ﴿إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّه الإِسْلاَمُ﴾ [1]، ﴿ وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيْناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ [2].

ولقد أدركت الدول المعاصرة أن ثقافتها هي هويتها وأهم عناصر شخصيتها. لذا حرصت على حماية ثقافاتها بكل الوسائل التي توفر لها الأمن الثقافي من كل غزو فكري معادٍ حيث شاع في نظام الدول المعاصرة ما يعرف بالأمن الثقافي كل ذلك من أجل حماية الثقافة من كل

---

[1]- سورة آل عمران آية ١٩.

[2]- سورة آل عمران آية ٨٥.

ما يصادمها إذ لم يعد الغزو كما كان في الماضي عسكرياً أقصى ما يحقق إحداث تدمير مادي محدودٍ بينما الغزو الفكري يضرب الأمة في الصميم (أي في شخصيتها وهويتها). فماذا يبقى إذا ذهبت شخصية الأمة ؟ بقدر ما تخترق ثقافة ما ثقافة أخرى وتصيبها في ثوابتها الثقافية بقدر ما تكون الأخيرة تابعة لها. وهذا بداية الانهزام ثم الانهيار كلياً وهنا تكون الكارثة ومن ثم ضياع الأمة لتحل محلها أمة أخرى من خلال ثقافة جديدة مغايرة ويمكن أن تبرز أهمية الثقافة من خلال رصد دورها في حياة الفرد وضرورتها للمجتمع وأهميتها للتربية وهذا بالنسبة للثقافة أي ثقافة. فكيف بالثقافة الإسلامية التي تعلم الفرد المسلم كيف يقوم بمهمته التي خلق من أجلها وتبصره كيف يعبد ربه على علم ونور وبصيرة. لاشك أن الأثر والأهمية أكبر.

أهمية الثقافة للفرد:

ينمو الفرد بيولوجياً سواءً عاش داخل مجتمع إنساني أو معزولاً عنه. لكن شخصية الفرد وتميزه وتكامل تلك الشخصية الإنسانية لا تتم ولا تنمو إلا في إطار اجتماعي إنساني، لذا يحق لنا أن نقول أنه لا شخصية للفرد بدون مجتمع ولا مجتمع بدون ثقافة، فالثقافة إذن هي الوسط الذي تنمو فيه شخصية الفرد، بمعنى أنها الوسيلة التي تُشكل أفكار الفرد، ومعتقداته، وخبراته، ودوافعه، وطرق تعبيره وانفعالاته، كما أن الثقافة هي التي تحدد له المعايير والقيم التي يسترشد بها في سلوكه، وتفرض عليه العادات والتقاليد التي يتمسك بها، ومن هنا يؤكد علماء

الاجتماع أن طابع الشخصية له علاقة وثيقة بنمط الثقافة الذي تعيش فيه هذه الشخصية، ومن هنا أمكن أن نقول إن شخصية الفرد صورة للثقافة التي نشأ فيها.

أهمية الثقافة للمجتمع:

يقــول أحد الكتاب المسلمين في شأن أهمية الثقافة بالنسبة للمجتمع:

"إن هناك من يعتقد أن ثقافة المجتمع تتكون من مجموع ثقافات أفراده، وآخرون يعتقدون أن الفرد ليس إلا وحدة من تلك الوحدات العديدة التي تشكل فيها ثقافة المجتمع، وأياً كان الأمر فإن امتلاك أفراد المجتمع لثقافة مشتركة أمر حيوي لشعور أعضاء هذا المجتمع بالوحدة وتسهيل سبل المعيشة والعمل المشترك، فالثقافة تحقق للمجتمع مجموعة من الوظائف الحيوية التي تُمكنه من تحقيق أهدافه المنشودة وثقافة المجتمع ترادف الشخصية القومية التي تحدد السمات العامة للأنماط السلوكية"[1].

"وبهذا تختلف الشعوب عن بعضها، وهذا الاختلاف يعزى في أساسه إلى اختلاف العقيدة والتقاليد والقيم والاتجاهات الفكرية ومجموعة المعاني والرموز التي تسود ثقافة المجتمع، فالشخصية القومية هي التي تستمد مقوماتها من خلال تربية المجتمع لأبنائه تربية يتشرب بها الصغار

---

[1]- أصول التربية الإسلامية للدكتور محمد شحات الخطيب وآخرون ص ١٤٦.

من الكبار الأنماط الثقافية المختلفة.

والثقافة تهيئ للأفراد وسائل التفاعل داخل الجماعة وهذا التفاعل بدوره يحقق مزيداً من الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع ويمنعهم من الوقوع في أي نوع من أنواع الصراعات المختلفة" [1].

ولا يمكن في غمرة تأكيدنا على أن الأمة تحرص على ثقافتها وتحميها من أي اختراق من الثقافات الأخرى، لا يمكن بحال أن يعني ذلك بأن نقول إن الثقافة لا يمكن أن تتصل بالثقافات الأخرى وتتفاعل معها، فإن ذلك في الحقيقة يصادم تنمية هذه الثقافة ويمنع إيصال رسالتها إلى الأمم الأخرى، فإذا نمّت هذه الثقافة ذاتها من الداخل وحافظت على ميزاتها وخصوصياتها فلا يمنع أن تتصل بعد ذلك وتتواصل مع أي ثقافة أخرى يمكن أن تفيد منها ، سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعة.

أهمية الثقافة للتربية:

التربية لا تتم إلا على أساس من ثقافة معينة محددة المعالم، والعلاقة بين الثقافة والتربية هي علاقة تأثير وتأثر، إذ تتأثر التربية بالنمط الثقافي الذي يسود المجتمع فهو الذي يحدد أهداف التربية ويرسم سياستها ويُشكل أساليبها وممارستها، والتربية بدورها تمكن الثقافة من الاستمرار والتطور، فالتربية ليست عملية ثقافية لأنها تشتق مادتها وتنسج أهدافها من واقع حياة المجتمع بثقافته، كما أن الثقافة لا تستمر إلا باكتساب الأفراد لأنماطها ومعانيها وهذه وتلك لا تتم إلا من خلال

[1] – المصدر السابق ص ١٤٤.

عمليات تربوية" [1].

وإذا كانت الثقافة مكتسبة فإنها لا تعتمد على التربية في اكتسابها، فعن طريق التربية يتم دمج الناشئين في ثقافة المجتمع، وإذا كانت الثقافة تبقى وتُستمد عن طريق ما يتوارثه وينقله الأفراد من جيل إلى جيل ، فإن التربية وحدها هي وسيلة النقل الثقافي في كل زمان ومكان، ومن هنا اكتسبت التربية تلك الأهمية بالنسبة للثقافة.

من فوائد علم الثقافة الإسلامية:

إن علم الثقافة الإسلامية له فوائد عديدة ومن أبرزها:

١- عرض نظم الإسلام الكثيرة بترابطها ليأخذ طالب العلم دين الله بشموليته التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة، وتلقاها صحابته رضوان الله عليهم ثم نقلوها لمن بعدهم.

٢- تأصيل المفاهيم المتعلقة بالإسلام وبيان معانيها الصحيحة ورد المفاهيم الخاطئة التي راجت في عصور التخلف أو أدخلت على المسلمين من أديان ومذاهب أخرى.

٣- نقض، ودحض، وتفنيد المفتريات التي حيكت ضد الإسلام من مختلف التيارات المحاربة له قديماً وحديثاً.

٤- بيان نجاح مبادئ الإسلام في تحقيق سعادة الحال والمآل مقارنة

---

[1]- المصدر السابق.

بالإخفاق الذي يحيق بالمذاهب البشرية الأخرى من خلال نقد مبادئها ومناهجها المصادمة لمراد الله من خلقه.

٥ . يعمل هذا العلم من خلال ما ورد في الفقرة (٣) أعلاه، على جعل المهتم بهذا العلم على إطلاع دائم بثقافات عصره.

٦ . بعلم الثقافة يمكن المحافظة على الربط بين كليات الإسلام في نظمه وشرائعه.

أهداف الثقافة الإسلامية:

إن للثقافة الإسلامية أهدافا نبيلة وعظيمة وكثيرة، تصب جميعها في اتجاه الرفع من مستوى المسلم الفكري فيما يتعلق بفهمه لدينه، ومن ثم تطبيقه تطبيقا صحيحا يضمن به القبول عند الله عز وجل، ولعل من أبرز هذه الأهداف للثقافة الإسلامية ما يلي:

١- تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة على مستوى الفرد والأمة، وإعطاء الهوية الإسلامية المتميزة والمستقلة الأصيلة لكل مسلم بحيث لا تختلط عليه المفاهيم والطروحات التي قد تصادفه في حياته بمختلف.وجوهها، وتحصنه من أي غزو فكري قد يوجه له بقصد زعزعة عقيدته في نفسه.

٢- تؤهل المسلم لأن يكون قادرا وفعالا في عرض عقيدته على غير المسلمين فيحقق بذلك غاية نبيلة وهدفا ساميا ألا وهو الدعوة إلى الله عز وجل الذي هو مطلوب من كل مسلم بحسبه ﴿ ادْعُ إِلِى

سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [1]، **وقوله سبحانه وتعالى** ﴿ وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [2].

٣- إيجاد الوعي العلمي الصحيح بحقيقة الإسلام وشموله لكافة متطلبات الحياة، وأن هذا الدين هو منهج حياة يتلمسه المسلم في كل شأن من شؤونه، وفي كل خطوة يخطوها في حياته وسيره إلى الله عز وجل.

٤- المساهمة في إيجاد المسلم القوي الصالح الذي يعمر هذا الكون وفق ما شرع الله تعالى.

٥- تنمية شعور الولاء للأمة الإسلامية، والإلحاح على أهميتها ومكانتها ورسالتها العظيمة في الحياة، وأن كل فرد فيها يسعى من ناحيته لتحقيق هذه الرسالة وبدون هذه الثقافة الإسلامية لا تتضح هذه الرؤية في ذهن المسلم.

٦- تصحيح الأفكار الخاطئة التي أثارها وأشاعها أعداء الإسلام في شأن المقولة التي تقول إن سبب انحطاط وتأخر المسلمين مرجعه إلى تمسكهم بدينهم، وإثبات أن العكس هو الصحيح في أن سبب تأخر المسلمين إنما هو بسبب نكوصهم عن تعاليم هذا الدين،

---

[1]- سورة النحل آية ١٢٥.

[2]- سورة آل عمران آية ١٠٤.

وتفريطهم في الالتزام بهديه وتوجيهاته الخاصة والعامة، والتي تحث على العلم والأخذ بأسباب التقدم.

٧- تحصين المسلم ضد المبادئ والعقائد الهدامة المنتشرة فيما حولة من المجتمعات التي لا تؤمن بالله ربا، ولا بالإسلام دينا، و لا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

٨- إيجاد الأرضية العلمية القادرة على تربية النشء وتوجيههم نحو التمسك بدينهم بطريقة تضمن استقامتهم وسيرهم بعيداً عن الانحرافات والضلالات.

نشأة علم الثقافة الإسلامية ومجالاته

البدايات:

إن نشوء علم الثقافة الإسلامية لم يكن بدعاً ولم يكن حديثاً وإنما قام على منهج الكتاب والسنة في عرض رسالة الإسلام في جوانبها المختلفة، من إيمانية وعبادية وخلقية واجتماعية، وبدأ هذا العلم يأخذ طابع التخصص حيثما ظهرت الحاجة إلى ذلك، فإنه وعندما اتسعت العلوم الشرعية، وتفرعت إلى تخصصات مختلفة حيث اقتضى الأمر ذلك التخصص في علوم الشريعة ليُتمكن من كل علم على حدة، أصولاً وفروعاً، ولكن ومع نشوء هذا التخصص فإن ذلك لم يصرف كبار العلماء عن التأليف في شمولية الإسلام، في العصور الأولى للتأليف، لكن وبعد أن جاءت العصور التي طغى فيها ذلك التخصص حتى أصبح العالم في كل

علم من العلوم يستغرق في دراسته دقائق وتفصيلات ذلك العلم منصرفاً عن العلوم الأخرى ظهرت الحاجة إلى وجود ذلك التأليف الشمولي وتأصيله. فقد وجد أن أئمة العلم في الزمن الماضي كانوا حتى مع تخصص أحدهم في بعض فنون العلم يؤسسون علمهم على علم سابق بأصول الإسلام في نظم الحياة جميعها في ترابطها الشامل[1].

وفي العصر الحاضر حينما سهل الاتصال بين الناس وتيسرت وسائل المعرفة جهد أصحاب المذاهب الباطلة في نشر مبادئهم فيما يسمى (بالأيدولوجيا) أي الأصول العامة في الوجود والكون والإنسان ونظم الحياة المختلفة، فأصبح من السهل على الإنسان أن يأخذ تصوراً متكاملاً عن مذهب ما من تلك المذاهب من خلال كتاب واحد يجمع أصوله في كل النظم [2]

فاتجه بعض علماء المسلمين غيرةً على دين الله ودعوة إليه وتقديماً للبديل الصحيح المتمثل في الأخذ بالإسلام والاغتناء به عن تلك المذاهب إلى الدراسة الشمولية للإسلام[3]. في نظمه المترابطة وكليته تحت إسم الثقافة الإسلامية فخرجت لنا عشرات الكتب في هذا الجانب

---

[1]- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض العدد الثاني ١٤١٠هـ، بقلم الدكتور عبد الرحمن الزنيدي ص ٩٣ بتصرف.

[2]- المصدر السابق.

[3]- أنظر في هذه المنهجية والحاجة إليها، نظام الإسلام "العقيدة والعبادة" لمحمد المبارك ص ١٤.

الهام وهذا العلم هذا الكتاب أحدها.

منهج علم الثقافة الإسلامية :

إن من أبرز القواعد المنهجية لهذا العلم ما يلي:

١- الكلية:

فالثقافة تبحث في الإسلام – في نظمه المتعددة – بصفته كلا مترابطاً، ووحدة متكاملة وتؤكد التداخل بين نظمه من أجل أن يعطي هذا العلم آخذه تصوراً متكاملاً عن الإسلام متقياً الصورة المجزأة للإسلام.

٢- المقارنة:

وهي من دعائم منهج هذا العلم لأن هذا العصر عصر صراع فكري بين المذاهب، ولأن تلك المذاهب غزت بلاد المسلمين وزاحمت المسلمين في حياتهم فكانت المقارنة خاصة بالثقافة الغربية بفرعيها الديموقراطي والإشتراكي من قواعد علم الثقافة في الإسلام، ولا ينحصر منهج المقارنة بتيارات الفكر الغابرة، وشبه الزنادقة القدماء بل يركز على تيارات هذا العصر وقضاياه وإن لم يغفل ما سبق.

٣- التأصيل:

مع أن علم الثقافة علم مقارنة إلا أن منهج هذه المقارنة تابع لمنهج التأصيل. والتأصيل في هذا المقام هو بحث النظم في الإسلام من خلال الكتاب والسنة، وفهم السلف، واجتهاد أئمة العلم المسلمين دون

تأثر في ذلك بأصول المبادئ الأخرى، أو ما كتبه أعداء الإسلام من شبه في مسائل تلك النظم.

٤ . النقد:

يتجاوز هذا العلم المقارنة المُبينة لفضل الإسلام على المذاهب الأخرى إلى النقد العلمي لها، سواء تمثلت في مذاهب ونظريات لها مناهجها في الوجود والكون والإنسان كالإشتراكية والتطورية، أو تمثلت في تيارات تحارب الإسلام ونظمه كالإستشراق والتنصير.

فيم يبحث علم الثقافة الإسلامية؟

إن علم الثقافة الإسلامية يبحث في العديد من نظم الدين الإسلامي ومفاهيمها ومناهجها وآراء خصوم الإسلام تجاه هذه النظم وكذا بعض النظريات المصادمة لهذه النظم ومن أبرز ما يبحث فيه ما يلي:

١ . نظم الدين الإسلامي كلها بترابطها:

ومن أبرز هذه النظم:

أ- نظام العقيدة:

الألوهية، الوجود، والإنسان- أصلاً ومصيراً وحكمة وجوده والكون أصلاً وحكمة ونهاية والحياة دنيا وأخرى.

ب- نظام العبادة:

مفهومها، ومقامها في الدين، ومجالاتها، وآثارها وشروطها،

وشعائرها الكبرى.

ج- نظام الدعوة والحسبة:

حكم الدعوة، ومنهجها، وأهدافها وحركاتها التجديدية.

د- النظام العلمي:

مقام العلم، وحِكمِه، ومصادره، ومناهجه، وأقسامه، وكليات الدين في التعليم والتربية.

هـ. النظام الخلقي:

الشعور الخُلُقي، ومعيار القيم، ومصدر الإلزام الخُلُقي، وأصول الأخلاق الإسلامية.

و- النظام العائلي:

الزوجية، والطفولة، والآباء، والأبناء، والأرحام.

ز. النظام الإقتصادي:

العمل، والملكية، والتضامن والتكافل الإجتماعي والمادي، ومنها الزكاة.

ح- النظام السياسي:

الحكم، والسلطة، والإدارة، وحقوق الإنسان، وحقوق الحاكم

والمحكوم وواجبات كل منهما.

هذه النظم يبحثها علم الثقافة من حيث مصادرها، وأسسها، وخصائصها، وأهدافها، وآثارها ووسائلها الكبرى، أما تفصيلات كل نظام ودقائقه فمن شأن المتخصصين في هذه النظم.

٢ . المفاهيم المتعلقة بنظم الإسلام ومنهجه:

تأصيلاً على أساس الكتاب والسنة، وفهم السلف، ودفعاً للمفاهيم الخاطئة التي انحرفت عن ذلك الأصل.

ومن أمثلة تلك المفاهيم الحرية، والتسامح الديني، والتوكل، والعبادة الإسلامية، والسلفية، والعلم، والتجديد في مجال الدين والموضوعية، والبطولة ...

٣ . القوى المعادية للإسلام وأهله:

يبحث هذا العلم شبهها حول الإسلام ومناهجها في محاربته ودوافع تلك الحرب وآثارها من أجل رد الشبه ومواجهة تلك الحرب وكشف حقائق تلك القوى وضررها على الإسلام وأهله وسبل وقايتهم منها.

ومن هذه القوى الاستشراق، والتنصير، والماسونية، والصهيونية.

٤ . المذاهب والنظريات الحديثة:

لبيان ما يتفق منها مع الإسلام، أو يختلف، ونقد مبادئها الفاسدة وبيان إخفاقها في الواقع البشري مقابل نجاح مبادئ الإسلام في تحقيق

السعادة.ومن تلك المذاهب الرأسمالية والإشتراكية وبعض الأديان القائمة.

ومن النظريات :

التطورية، والعلمانية، والوجودية، والفرويدية، والوضعية، والنظريات الإجتماعية الضالة.

وهذه الموضوعات الأربعة مرتبطة فيما بينها، ووجه الارتباط أن تلك القوى والمذاهب التي تسعى إلى زحزحة الإسلام ومنهجه عن حياة التابعين له ووقف مده عن من لم تصلهم دعوته، هو بما تثيره من شبه حوله أو بما تقدمه من نظم بديلة. ومن هنا كان مقتضى بحث أصول الإسلام في نظم الحياة البشرية هو بيان بطلان تلك النظم المقابلة خاصة أن الإختلاف في تلك الأصول بين الإسلام وبينها عظيم جداً وإليك توضيحاً لبعض من تلك الأصول:

- الإيمان بعالم الغيب أساس الإسلام "وهو منكر الاعتبار في الثقافة المادية" بما فيه وجود الله عز وجل والقضاء والقدر... .
- الدنيا مرحلة إلى الآخرة ومن ثم فالعمل يقوم على هذا الأساس في الإسلام أما في تلك الثقافة المادية فالحياة المعتبرة هي هذه الحياة الدنيا ولا اعتبار لسواها.
- الوحي مصدر المعرفة اليقينية في الإسلام ولا اعتبار له في تلك الثقافة بصفته مصدراً للمعرفة ..
- الإسلام يقوم على حقائق ثابتة في العقيدة والأخلاق وفي تلك

الثقافات المادية جميع الأشياء متطورة حتى العقيدة والأخلاق.

- المُشرع في الإسلام هو الله وحق التشريع في تلك الثقافات للبشر.
- الربا حرام في الإسلام، وهو الأساس الذي يقوم عليه الاقتصاد في تلك الثقافات.
- التضامن الأخوي أساس المجتمع في الإسلام، وفي غيره تقوم العلاقات على القومية، والعرقية، والتفرقة العنصرية والمصلحة الآنية أحياناً.

أمثلة لمجال البحث في علم الثقافة الإسلامية:

لا ريب أنه بتحدد معنى الثقافة وموضوعاتها يتحدد إطار التأليف في هذا العلم ومجال البحث فيه سواء في رسائل الماجستير أو الدكتوراه أو بحوث المرحلة الجامعية أو غيرها.

وقد يقول متسائل: بما أن الثقافة علم كليات فهل كل بحث فيها لابد له من الشمولية ؟.

والجواب : أن ذلك ليس لازماً فقد يتناول البحث قضية من قضايا أحد النظم الإسلامية، لكنها قضية أصولية في هذا النظام، ولها صلة بجوانب الإسلام الأخرى، وإذا كان قد سبق ذكر أمثلة لهذا النوع من البحوث عند الكلام عن المجال الذي يبحث فيه علم الثقافة فإننا هنا سنذكر أمثلة مفسرة. فمثلاً :

١- موضوع "مصادر المعرفة" من أصول نظام العلم والمعرفة في

الإسلام: الذي يتناول العقيدة حينما يبحث في "الوحي" بصفته مصدراً للمعرفة ويتناول أصول الفقه لدى بحثه مهمة العقل في المعرفة وخاصة في ميدان التشريع.

وموضوع "منهج الإسلام في بناء الجماعة ورعايتها" من أصول النظام الإجتماعي ولكن متعلقاته كثيرة في العقيدة، والأخلاق وبعض الجوانب الفقهية.

وموضوع "قضية الحضارة في ضوء الإسلام" يتناول في بنية الحضارة العقيدة والعلم والتشريع بصفتها أسساً لها، كما أنه يُقوِّم الحضارة القائمة على هذه الجوانب.

٢- كليات النظم الإسلامية:

سواء كان ذلك لنظام واحد أو أكثر، وفي هذا المجال تدخل موضوعات مصادر النظام وأسسه وخصائصه وأهدافه، وأثاره وتطبيقاته ومسائله الكلية.

فمثلا من كليات النظم الخلقي فطرية الشعور الخلقي لدى الإنسان ومعيار القيم ومصدر الإلزام في الأخلاق والمذاهب الوضعية في هذا الشأن.

ومن كليات نظم العلم والمعرفة"مكانة العلم، وعلاقته بالعمل، ونظرية المعرفة بمباحثها، ومناهج العلوم، وأقسام العلوم، وضوابط المعرفة وفلسفة العلوم....".

٣- القضايا الفكرية في المجتمع المعاصر:

مثل الحرية، الاختلاط، العنصرية، القومية، الحوار بين الأديان، التطور والثبات، والتجديد في الدين، التراث، الموضوعية والشك".

وتخصص الثقافة لا يتناول من القضايا المثارة إلا الفكرية العامة، أما التخصصية الجزئية فهي لتخصصات أخرى كما سبق ذكره من قبل.

فقضية الولاء والبراء مثلا من موضوعات تخصص العقيدة، وقضية الاجتهاد في استنباط الأحكام، البحث في وجوبه، أو جوازه، أو منعه مثار الآن، وهو من تخصص أصول الفقه، وقضية النسب في أطفال الأنابيب قضية فقهية....الخ.

٤- الثقافات البشرية:

أ- مذاهبها الفكرية ونظرياتها" أصولها، ووسائلها، ومناهجها، وموقف الإسلام منها، والمتخصص في الثقافة يدرس مذهبية تلك المذاهب، أما مرتكزها العقدي كالقول بأن المادة هي الموجود الأزلي الأوحد، لدى الماركسية، فمن شأن المتخصص في العقيدة وليس الثقافة.

ب- تياراتها المعادية للإسلام، "أصول تلك التيارات، وأهدافها، ووسائلها ومناهجها في حرب الإسلام، ومجالات طعونها، وأثار عدائها، والشبه المثارة من قبلها، وتطورها ونقدها إسلاميا".

علم الثقافة الإسلامية بين العلوم الشرعية الأخرى:

أبرز العلوم الشرعية – سوى علم الثقافة:

١- علوم القرآن وأبرزها علم التفسير المختص بالبحث عن مراد الله في آياته حسب الطاقة.

٢- علوم الحديث التي تبحث في الأحاديث النبوية من حيث المتن والسند صحة وضعفا.

٣- علم العقيدة أو التوحيد الذي يبحث في قضايا الإلهيات والنبوات السمعيات.

٤- علم الفقه وهو معرفة أحكام الشريعة بأدلتها التفصيلية في الجانب العملي من حياة الإنسان.

٥- علم أصول الفقه وهو العلم الذي يبحث عن أدلة الفقه الإجمالية، ومنهج الاجتهاد، وأحوال المجتهد.

٦-علم السلوك وهو علم يبحث في أعمال القلوب وآفات النفوس .

هذه هي العلوم الشرعية التي يمثل كل منها تخصصاً مستقلاً محدد المعالم ولكنها رغم ذلك ذات تلازم لأن الشريعة التي قامت لخدمتها لا تتجزأ، وعليه فلابد للمتخصص في أي علم منها أن يركن تخصصه على معرفةٍ كلية بهذه العلوم، ولكن هذه المعرفة الكلية للمتخصص في أي واحد منها لا تغني عن الحاجة إلى متخصص بالدراسة الكلية استقلالا [١]، لأن المتخصص الجزئي سيعود إلى تخصصه تدريساً وقراءة وتأليفاً ومعالجة، بحيث يستغرق فكرة هذا التخصص ومن ثم يغفل عن رعاية الجانب الكلي وعن الارتباط الحيوي بين كليات النظم الشرعية، والواقع

[١]- أي قيام علم ينهض بهذا الجانب وهو علم الثقافة الإسلامية.

ماضياً وحاضراً يدل على ذلك ..

وقد يقال إن هذا جار على عدم إمكانية وجود العالم المتمكن من كليات العلوم الشرعية وتفصيلاتها جميعاً وفي هذا شئ من المصادرة.

وهنا أقول إن الحق –كما أرى– هو ما سبق تقريره، إنه وإن كان هذا ممكناً بل متحققاً للصحابة والأئمة السابقين من بعدهم إلا انه أصبح صعباً بعد توسع العلوم وكثرة تفريعاتها وتشعب مناهجها، وإن تَحقق شئ من ذلك فلقلة من فحول العلماء معدودين كابن تيمية، وابن القيم وأمثالهما من ذوي الملكات الشمولية والموسوعية [1] . وقد يُقَيض الله من أبناء الأمة الإسلامية من يملك مثل قدرات هذين الإمامين الجليلين.

من ذلك تتبين ضرورة وجود متخصص يبحث الكليات في نظم الإسلام وترابطها، وما إلى ذلك من متعلقات.

ويكون مثاله كالفيلسوف بين علماء الطبيعة، إذ لكل علم مجاله الخاص منهجاً، وموضوعاً، فالرياضيات مجالها الكم، والطبيعيات مجالها الحركة والتغير وعلم النفس مجاله الظواهر النفسية والسلوك ... الخ .

والفيلسوف هو الذي يدرس موضوعات هذه العلوم في نظرة جامعة، ويعمل على الجمع بين عمومياتها ، لينتج فلسفة موحدة ولهذا سماه (أوجست كونت) "ضابط الاتصال بين مختلف العلوم" [2].

---

[1] – المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، المصدر السابق ص ١٠١.

[2] – المصدر السابق ص ١٠٢.

إذا يتبيَّن هذا فإن موقع علم الثقافة بين العلوم الشرعية المشار إليها يتجلى من خلال ما يلي :

١- أنه علم متميز بين هذه العلوم، ليس واحداً منها وليس جمعاً لها.

٢-أنه لا يغني وجودها الجزئي المتخصص عنه، كما أنه رغم شموليته لا يغني عنها في تخصصاتها الدقيقة.

٣- أن مقامه بين العلوم الشرعية عظيم، لجلالة موضوعه، وهو علم الكليات التي هي الأصل للجزئيات.

٤- له صلة بكل علم منها، وهذا جار في كل علم من علوم الشريعة، لا يمكن الفصل بينهما تماماً .

فعلما التفسير والحديث مستندة في أخذ موضوعاتهما من المصدرين الشريفين كالعلوم الأخرى، أما العلوم الأخرى فإنها تبحث في الجزئيات التي تبحث في كلياتها، كما أن كلاً منها يبحث في كلياته المتعلقة بتخصص ذلك الكل.

وبهذه المقتطفات نكون وقفنا على جانب مهم مما يتعلق بنشأة هذا العلم والمجالات التي يمكن أن يغطيها من العلوم الإسلامية وسنقف على ما يزيد فهمنا لهذا العلم ويبين لنا أهميته ألا وهو الخصائص والسمات التي يتميز بها علم الثقافة الإسلامية.

سمات الثقافة الإسلامية:

بين أيدينا هنا عدد من السمات التي تثبت تميز الثقافة الإسلامية

على غيرها من الثقافات في كل زمان ومكان، كيف لا وهي:

"ثقافة عابدة تفرد الله بالعبودية ومن ثم بالحاكمية، فهي ثقافة حرة لأنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله وهي ثقافة عادلة"[1]، وعدلها مأخوذ ومنبثق من كونها ربانية في أساس مادتها وسيأتي في تعداد سماتها وخصائصها أنها إنسانية، وعالمية، فهي ليست قومية ولا محلية ولا إقليمية، ومن ثم فهي تكره الإحتكار والاستغلال والظلم في كل زمان ومكان ومن أي شخص كان في كافة السلوك الإنساني حتى ولو كان هذا السلوك صادراً من الأنبياء، والآيات التي تثبت ذلك في القرآن كثيرة ومنها قوله تعالى لنبيه داوود ﴿ يَا دَاوُوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ ﴾[2]، وهي ثقافة متعادلة فيها التوازن والوسطية في كل شئ لأن الإسلام كما تشير النصوص وسط في كل أحواله.

ومن خلال ما يأتي من الخصائص والسمات ندرك ذلك التميز وتلك الصفات الفريدة للثقافة الإسلامية والخصائص هي:

١- <u>ثقافة ربانية</u>:

وتبرز هذه الخاصية والسمة من خلال ظاهرة الوحي الذي حدد الإطار العام للثقافة الإسلامية، وجعل منها ثقافة إنتماء إلى عقيدة

---

[1]- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للسيد قطب ص ١١٤، الطبعة السابعة، دار الشروق، بيروت ١٤٠٢هـ.

[2]- سورة ص آية ٢٦.

التوحيد، فالمسلم في عقيدته تلك يعتقد أن الله هو الذي خلق هذا الكون وسخر ما في هذا الوجود لمصلحة الإنسان، وهذا التصور من المسلم يجعله ينظر للحياة بمنظار يختلف فيه عن الآخرين فهو يعلم أنه مستخلف عن الله في هذه الأرض وأن هذه الحياة ليست غاية وأن الغاية الأساسية هي الوصول إلى سعادة الآخرة وأن ذلك لا يتأتى إلا بسلوك الطريق الذي يرضي الحق سبحانه وتعالى، ويتلمس مكان تلك المرضاة في كل شان من شئون حياته، وهكذا ينظر الإنسان في هذا الكون فيرى فيه قدرة الباري سبحانه وعظمته وسلطانه فيسير في هذه الحياة على وفق السنن التي بثها الله فيه لا يخرج عنها، بل يكون المسلم وهو في أوج قوته وسلطته مؤمناً بربه خاضعاً له لا يداخله الغرور الذي داخل غيره عندما تَمكن من بعض أسباب الحياة كما عند الأوروبيين وغيرهم الذين غرهم تمكنهم من بعض تلك الأسباب.

ومع كون المصدرية لهذه الثقافة ربانية تحدد الإطار الذي يسير فيه الإنسان في الحياة، فإنها في الوقت نفسه لا تلغي حركة الإنسان وتفكيره وإختياراته، من خلال دور العقل البشري في التفسير والتجديد.

٢- <u>فيها التوازن</u>:

إن ما نعنيه بالتوازن كسمة من سمات الثقافة الإسلامية هو التوازن بين ما يدركه الإنسان فيسلم به، وبين ما يتلقاه عن الوحي فيبحث عن علله وبراهينه وغاياته التي تزيد في إيمانه وتقوي عقيدة الغيب في نفسه، وفيها التوازن بين مجال المشيئة الإلهية المطلقة ومجال

المشيئة الإنسانية المحدودة، ومن هذا التوازن أيضاً ببين عبودية الإنسان المطلقة لله عز وجل وبين مقام الإنسان المكرم في هذا الكون "وفيها التوازن بين مصادر المعرفة وبين التلقي عن الوحي والنص، والتلقي من الكون والحياة، وفيها توازن بين حاجات الإنسان الروحية والمادية والاجتماعية" [1] .

من هنا فإن الثقافة الإسلامية القائمة على هذا التوازن بين كل هذه الجوانب دون أن يطغى جانب على آخر قد استطاعت أن تستجيب لطبيعة الإنسان ونزعاته الفطرية والغرائزية، ولو لم يكن ذلك لاختل التوازن الذي أراده القرآن، وهذا التوازن مرجعه إلى وسطية هذا الدين في كل أمر إذ لا تفريط ولا إفراط.

٣ . <u>ثقافة إنسانية</u> :

يقول تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَّنَذِيْراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ [2]، إن الثقافة الإسلامية ليست عنصرية ولا ثقافة أمة متميزة بانتماء نسبي أو عرقي أو لغوي وإنما هي ثقافة انتماء إلى عقيدة رسم الوحي الإلهي معالمها وحدد أطرها ودعائمها، لا تفرق الثقافة الإسلامية التي مصدرها القرآن والسنة بين شعب وشعب في

---

[1] -الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي للدكتور علي أحمد مدكور، ص ٨٧، ٨٨.

[2] - سورة سبأ آية ٢٨.

اللون أو اللغة أو الإنتماء العرقي، فالثقافة الإسلامية تخاطب الجنس البشري دون استثناء يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوْباً وَّقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [1]. فميزان التفاضل هو التقوى، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

ولو كانت الثقافة الإسلامية ذات انتماء عرقي أو رباط نسبي لما أسهمت الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام في بناء صرحها، ولما شعرت بالإعتزاز بها، ولما جعلت منها ثقافتها الوطنية فالثقافة الإسلامية ثقافة تجمع ولا تفرق تدعو للترابط وتنبذ الفرقة والتناحر والسبب في ذلك كما قدمنا هو الانتماء إلى عقيدة واحدة، من مقاصدها قوله صلى الله عليه وسلم "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" [2] فهي تدعوه إلى الوحدة.

٤- فيها الوحدة:

إن عقيدة التوحيد التي هي الدعامة الأولى للثقافة الإسلامية تتلخص في أن الله واحد لا معبود بحق سواه، وأنه خالق الكون وواهب الحياة، وعليهما نشأة ووحدة الخلق أي الوحدة التي تجمع بين المادة

---

[1]- سورة الحجرات آية ١٣.
[2]- متفق عليه.

والروح ووحدة العلم والإيمان ووحدة الإنسانية لا تفرقها الألوان ولا الأجناس والأقاليم، كما يقول الله تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَّنِسَآءً ﴾ [1]، ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿ يَآ أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوْا صَالِحاً إِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً وَّأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوْنِ ﴾ [2].

"ومن هنا كانت تعاليم الإسلام التي هي مادة الثقافة الإسلامية تدعو إلى توفير المبادئ الإنسانية في مجالات العلاقات على الصعيد الفردي والاجتماعي والدولي وتحذر من مغبة العنصرية البغيضة" [3] حتى تكون الأهداف الإنسانية التي من أبرزها تحقيق العبودية لله تعالى، هي الغاية التي يتطلع إليها الإنسان ويسعى نحوها "ولعل أهم معاناة يعانيها الإنسان خارج دائرة الإسلام هي شعوره بالتمزق، وبأنه ليس شخصية واحدة تتجه نحو هدف واحد، فهو يرى أنه أشتات كل منها يرتبط بهدف لا علاقة له بالأهداف الأخرى، وبأنه أنفس عديدة لا نفس واحدة، وبأنه

---

[1] - سورة النساء آية ١.

[2] - سورة المؤمنون آية ٥١، ٥٢.

[3] - الإعلام الإسلامي والعلاقات والإنسانية النظرة والتطبيق، ورقة عمل مقدمة من دار التهامي نقرة للقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، سنة ١٣٩٦هـ، ص ٣٤٢.

بعيد عن مصيره لا متوحد معه" [١] .

وهذه الوحدة تنطلق وتتعانق مع خصيصة أخرى للثقافة الإسلامية ألا وهي الشمول.

٥- الشمول:

إن النصوص الإسلامية عامة مطلقة في كل شأن من شئون الحياة "ويتمثل ذلك في التصور الشامل الذي يبدأ مع الحقيقة الإلهية التي يصدر عنها الوجود كله، وتتناول الحياة وطبيعتها والوجود ومكانة الإنسان فيه، وما يربط بين الله والكون والإنسان من وشائج" [٢] .

فالثقافة الإسلامية تأخذ من الإسلام شموله وسعته، لذلك فهي تعرض الحياة متصلة متناسقة محكومة كلها بقانون واحد كبير، في حين أن بعض الثقافات الأخرى تعرضها مقطعة الأوصال فتفقدها معناها الشامل ومغزاها العميق، وذلك لأن بعض أعلام الفكر والثقافة من غير المسلمين قد اختلفت النسب في نفوسهم فلا يرون الحياة إلا من خلال جزئية واحدة من بين جزئياتها إما من خلال الجنس أو من خلال الصراع الطبقي أو من خلال التفسير المادي للتاريخ أو غير ذلك.

ومن هنا حصل الخلل وعدم الإيجابية لتلك الثقافات غير الثقافة الإسلامية التي تميزت نظرتها بالشمول لكل مناحي الحياة، وهذا من

---

[١] - في النقد الإسلامي المعاصر للسيد عماد الدين خليل، ص ١٧٢.

[٢] - المصدر السابق.

أسباب إيجابيتها.

٦- الإيجابية:

المتتبع للنصوص التي جاءت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر في القرآن والسنة يدرك تماماً هذه الإيجابية التي كانت ولازالت الثقافة الإسلامية، فالنصوص الشرعية الإسلامية ليست قاصرة على درء المفاسد، بمعنى أنها ليست رد فعل لما يقدمه الناس فحسب، بل هي تملك زمام المبادرة أيضاً، يقول الرسول ﷺ "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [١].

ومن هذه الإيجابية أيضاً أنها لا تكلف الإنسان في شأن الأمر أو النهي أكثر من طاقته ﴿فَاتَّقُوْا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٢]، وقال سبحانه ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [٣]، وهي في الوقت نفسه تحذره من التواكل فهي تحثه على العمل وتدفعه إليه وتشجعه "فبناء المجتمع المسلم والاهتمام بقضايا المسلمين هي مسئولية الجميع والمسلم العامل بهذه الثقافة الإسلامية لا يهدأ له بال حتى يرى راية الإسلام خفاقة عزيزة" [٤]، وأنه لا يشعر بالراحة والطمأنينة حتى يرى شريعة الله تطبق بين خلقه

---

[١]- رواه مسلم والترمذي.

[٢]- سورة التغابن آية ١٦.

[٣]- سورة البقرة آية ٢٣٣.

[٤]- ملامح الثقافة الإسلامية في الإعلام السعودي المعاصر بقلم سليمان العيدي ص ٣٠.

في أرضه، وهذا الشعور من المسلم هو غاية الإيجابية لما يخدم مصالح الإنسانية جمعاء، لأن البشر إذا طبقوا ما تدعو إليه هذه الثقافة سعدوا في الدنيا والآخرة.

٧ . الثبات والتطور:

الثبات والتطور سمة بارزة في الثقافة والشريعة الإسلامية فالأصول والمبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولكن ما يدخله التطور هو التطبيق لهذه الأصول والقواعد الإسلامية، فالإيمان، والتقوى، والبر، والمعروف، والإخاء، والمساواة، والعدالة، والحرية، والحب، والإحسان وغيرها من القيم الإسلامية، قيم لا يدخلها التغيير كما قلت، ولكن العمل بها وأساليب تطبيقها هي التي يمكن أن يدخلها التطور حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان .

وبهذا الاستعراض المختصر لبعض وليس لكل خصائص وسمات الثقافة الإسلامية نكون قد عرفنا عُلو كعب هذه الثقافة بين سائر الثقافات الأخرى، وأن لا مقارنة، ولكن إثباتها هنا هو فقط لزيادة توضيح مفهوم الثقافة الإسلامية التي أصولها ربانية ومصدرها الوحي "القرآن والسنة".

وخلاصة القول بأن الثقافة الإسلامية التي تعتمد على هذين المصدرين هي بذلك تعتبر ثقافة عالمية إنسانية، لا تحدها الحدود الجغرافية والخرائط الإنسانية أو تخوم الأرض، وإنما حدودها هي حدود فكرتها، فالإنسان المسلم والجماعة المسلمة يجب أن تمارس حياتها وأن

توجه حركتها ونشاطها وفقاً لمنهج الله في كل زمان ومكان[1]، هذا المنهج الذي لا يخرج بحال عن ما جاء في القرآن والسنة وهما المصدران الأساسيان للثقافة الإسلامية.

أهم نتائج البحث :

من أهم النتائج التي عالجها البحث وأبرزها أنه بيَّن أهمية علم الثقافة الإسلامية وأنه العلم الذي يُحصِّن به المسلم عقيدته وشريعته من معاول الأعداء. كما أنه الأساس في تكوين شخصية المسلم وبروز تلك الشخصية حيث يكون ذلك البروز بتمثل السمات التي تتميز بها الثقافة الإسلامية لأنه تقرر معنا في استعراض البحث أن ثقافتنا الإسلامية متميّزة من بين سائر الثقافات الأخرى ومرد ذلك التميز أنها ربانية المصدر، شاملة المنهج، عالمية الهدف.

---

[1]- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للسيد قطب ص ١١٤، الطبعة السابعة.